

سورة المجادلة (الآيات: 1-4)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف مفهوم الظهار وحكمه وكفارته.
- 2- أن أدرك الحكمة من تحريم الظهار ومن كفارته.
- 3- أن امتثل أمر الله عز وجل ولا أحرم ما أحل الله.

تمهيد

سورة المجادلة مدنية وآياتها إحدى وعشرون ، وهي كباقي السور المدنية تعالج أمراض المجتمع من خلال التشريع السليم لبعض مشكلاته ، وبيان الآداب الإسلامية في بعض قضاياها ، وقد تناولت الآيات موضوع الدرس بعض أحكام الظهار وكفارته .

فما هي قصة تشريع كفارة الظهار؟ وما الحكمة من هذه الكفارة؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ النَّبِيِّ لَمَّا فِي زَوْجَعَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُعُكُمْ إِيَّاهُ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①﴾ الْغَيْرِ يَخْشَعُونَ مِنْكُمْ مَرَسًا يَعْلَمُونَ مَا فَعَلْتُمْ بِهِمْ إِنْ أَقْبَلْتُمْ بِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَنَهَّيْتُمْ وَإِنْ تَقُولُوا مِنْكُمْ أَمْزٍ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ②﴾ وَالْغَيْرِ يَخْشَعُونَ

مَنْ سَأَلَ يَعْزِمُ ثُمَّ يُعْمِدُ وَنَافِلُوا اقْتَرَبُوا رَفِيقَهُ مَرْفِقَةً مَرْفِقَةً أَنْ يَتَمَاسَّا عَلَى كُمٍ تُوعِضُ صُونَ بِئَةٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ قَمْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامُ شَفَرٍ مَتَّابِعِي مَرْفِقَةٍ أَنْ يَتَمَاسَّا قَمْ لَمْ يَسْتَكْصِعْ بِالْخُصَامِ سَتِيرٍ مَسْكِينًا عَالِمًا لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

الْيَمُّ ﴿٤﴾ [سورة المجادلة: 1-4]

الفهم

الشرح:

سَمِعَ : أجاب وقبل.

تُجَالِدُ لِمَا فِي زَوْجَتَا: تراجعك الكلام في أمر زوجها.

مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ : المنكر الذي لا تعرف له حقيقة.

وَزُورًا : كذبا.

يَتَمَاسَّا : يجتمعا.

استخلاص مضامين الآيات:

1- فيمن نزلت قصة المجادلة؟

2- ما هي أحكام الظهار المفصلة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: قصة المرأة التي حاورت النبس ﷺ في ظهار زوجها منها:

افتتح الحق سبحانه سورة المجادلة بقصة المرأة التي جادلت النبي ﷺ في أمر زوجها

حيث قال تعالى: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ النَّبِيِّ نُجَلِّدُ لَهَا فِي زَوْجِهَا﴾. نزلت الآية في خولة بنت ثعلبة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري، أخي عبادة بن الصامت، حيث ظاهر منها. وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً، فلما فعل أوس بن الصامت ذلك جاءت امرأته خولة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوساً أكل شبابي، ونثرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني. فقال رسول الله ﷺ: ما رأيته إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله، لا تفعل؛ إني وحيدة ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته، فراجعته، فهذا هو جدالها. وكانت ﴿تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ فنقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري. وروي أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ -وهو السميع العليم- يسمع محاورتها ومراجعتها لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المحاورة هي المراجعة في الكلام، قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكان بعض كلام خولة يخفى علي، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة؟ فقال: والله ما أملكها. فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله ما أقدر. فقال له: أتطعم ستين مسكيناً؟ فقال لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء. فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، وقيل: بثلاثين صاعاً، ودعاه، فكفر بالإطعام، وأمسك زوجته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المقصود به التعليل لما قبله، أي: إن الله عز وجل سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه، بصير بأعمال العباد.

ثانياً: بعض أحكام الظهار وكفارتة:

بعد قصة المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ في زوجها، تأتي هذه الآيات لتبين أهم أحكام الظهار، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْكُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء، وبحدفها وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد، وهو إيقاع الظهار. والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ويجري مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد، كالبنات والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره، كقوله: أنت علي كأمي، أو كبطن أمي، أو يدها، أو رجلها، خلافاً للشافعي؛ فإن ذلك كله عنده ليس بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية. وقاس مالك عليها؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيهه حلال بحرام.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَأَيْتُمْ لِيَهْمُ﴾ رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمّاً باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة. ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب. وإنما جعله كذباً؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه. وهي لا تصير كذلك أبداً.

والظهار محرم. ويدل على تحريمه أربعة أشياء، أحدها: قوله تعالى: ﴿مَا تَرَأَيْتُمْ لِيَهْمُ﴾ فإن ذلك تكذيب للمظاهر، والثاني: أنه سماه منكراً، والثالث: أنه سماه زوراً، والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب، وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفِرُونَ مِنْ آيَاتِنَا ثُمَّ يَنْتَهِونَ لِمَا قَالُوا لَمَنْ يَرْفَعُ رَقَبَةً مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا ۚ إِنَّ الْكُفْرَ تَوَعُّضٌ بِّهَا ۚ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝۳﴾ قَمْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا قَمْ لَمْ يَسْتَكَفِ فِي الصَّغَامِ سِتِينَ مَسْكِينًا ﴿٣﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني، حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث، حتى يعجز عن الثاني.

فالأول تحرير رقبة، والثاني صيام شهرين متتابعين، والثالث إطعام ستين مسكينا، والطعام يكون من غالب قوت البلد.

وقوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَآسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل. فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يُكْفَر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَ تَوَعُّضٌ بِّهَا ۚ﴾ أي: ذلكم أي ذلكم الحكم بالكفارة. توعظون به لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية. [تفسير البيضاوي: 5/193]

وفي ختام هذه الآيات ذكر الحق سبحانه الحكمة من كفارة الظهار فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ قُلْ لِمَا حَذَّوْنَا اللَّهُ وَاللَّهُ يَخْبَرُ عَذَابُ آيِمٍ﴾ ذكر ابن عطية رحمه الله: الإشارة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم، ونقل عن الزمخشري: أن المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وقال: وهذا أظهر لأنه أعم. [المحرر الوجيز، لابن عطية: 2/352].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- تأكيد الإسلام على حرية التعبير والتفكير والمجادلة بالتي هي أحسن.

- أن التشريع المتعلق بالفروع والمرتبط بعبادات وأعراف الناس قابل للتجديد والتغيير بمرور الزمن وتغير الأعراف.

- عدالة التشريع الإسلامي ومرونته ومراعاته استطاعة الإنسان وحالته المادية والصحية وغيرها.

- أن الشريعة الإسلامية نظمت مختلف مجالات الحياة.

- العدل ورفع الحرج عن الناس هو غاية التشريع الإسلامي.

التقويم

1- أستعرض قصة نزول مطلع سورة المجادلة؟

2- كيف يكفر المظاهر ليعود لزوجته التي ظاهر منها؟

3- ما الحكمة من تشريع كفارة الظهار؟

الاستثمار

رُوي أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ جَاءَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ قَالَ: فَجَنَحَ إِلَيْهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِهَا، وَتَنَحَّى النَّاسُ عَنْهَا، فَنَاجَاهَا طَوِيلًا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ. قَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ هِيَ؟ هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ؛ فَوَاللَّهِ لَوْ قَامَتْ هَكَذَا إِلَى اللَّيْلِ لَقُمْتُ مَعَهَا إِلَى أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ، وَأَنْطَلِقَ لِأُصَلِّيَ ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا. [أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي: 4/185]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - كيف تعامل عمر رضي الله عنه مع خولة بنت ثعلبة.

2- أوضح مكانة المرأة في الإسلام من خلال النص والآيات موضوع الدرس .

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 5 - 7 من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **يُخَادَعُونَ** - **كُتِبُوا** - **أَعْجَلِيْهُ** - **شَهِيدٌ** - **تَجَوَّى**.

2- ما هو جزاء من يعاند الله ورسوله ويخالف شريعته.